مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث - دبي

فتاوى الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور

جمع وتحقيق

د. محمد بن إبراهيم بوزغيبة

مراجعة

قسم الدراسات والنشر بالمركز

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

1425 هـ ـ 2004 م

فتاوى الشيخ الإمام

محمد الطاهر ابن عاشور

الإهـداء

إلى روح الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور مفخرة العالم الإسلامي في القرن ١٤هـ =٢٠م.

وإلى روح نجله الإمام البحر محمد الفاضل ابن عاشور.

وإلى روح والديّ وشيوخي، وابني عياض الذي رزقني الله تعالى به يوم أنهيت هذه الدراسة، أهدي هذا المجهود المتواضع.

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

الحمد لله الذي باسمه نتمكّن من فتح المغلقات وبالاعتماد عليه نصل إلى أقصى الغايات، وصلى الله على نبيّه الجامع لأشتات الكمال وصفيّه الذي ختمت به الأرسال، وعلى آله وصحبه الذين هبّت عليهم نسمات القبول والإقبال.

وبعد، فإنّ المكتبة الإسلامية نشرت عدّة بحوث ورسائل تتعلّق بحياة الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، وبإصلاحاته وبتفسيره وبالمسائل الأدبية والبلاغية في آثاره، إلا أنه لم يقع الاهتمام بفتاويه على الرغم من كثرتها وغزارتها، إلا في رسالة دكتوراه دولة للأستاذ محمد السويسي «الفتاوى التونسية في القرن ١٤هـ» التي تعرّضت إلى بعض فتاوى الشيخ الإمام.

وفي أثناء بحثي وتنقيبي عن الفتاوى التي حبّرتها يدُ شيخ الإسلام محمد العزيز جعيط، اعترضت سبيلي فتاوى الشيخ ابن عاشور، فسألت الله تعالى أن يوفّقني إلى جمعها وأن يعينني على تتبع آثاره الشرعية واستخراج ترجيحاته واجتهاداته منها ثمّ تحقيق جميعها، وتم ذلك، والحمد لله.

والحق أنَّ الأسباب التي دعتني إلى أن أفرد فتاوى الشيخ الإمام ببحث خاص عديدة منها:

* تكريم الشيخ الإمام على المجهود العلمي الذي قدّمه طوال حياته.
* معالجة آثاره من زاوية أخرى بعد أن نالت حياته وإصلاحاته وتآليفه حظّها من الدراسة والنشر.

* تقديم فتاوى تعالج مسائل حياتيّة معاصرة لتستفيد منها الأمة الإسلامية، وخصوصاً في المسائل المالية التي تتعلّق بالزكاة والقرض والرهن والأسهم المالية، وكذلك مسألة رؤية الهلال، ومسألة البدعة والسنة، وقضية التجنيس ودور الشيخ فيها، إضافة إلى مسائل مهمة أخرى . . .

وفي كل بحث علميّ لا بدّ من وجود عراقيل ومشاق، وتتمثل عراقيل البحث في المسح الشامل الذي قمت به للصحف والنشريات التي كانت تصدر أيام حياته، ثمّ عند تتبّع آثاره الشرعيّة لاستخراج ترجيحاته واجتهاداته وخصوصاً عند تتبّع كتاب «مقاصد الشريعة» وكتاب «النظر الفسيح عن مضائق الأنظار في الجامع الصحيح».

كما تتمثل العراقيل في مشقة التحقيق، وذلك عند تتبّع المصادر والمراجع المخطوطة منها والمطبوعة التي كان الشيخ الإمام يعتمدها.

وبعد هذا الجهد تمكنت من جمع «١١٣» فتوى في التفسير وتأويل الحديث والعقيدة والعبادات والأضحية والأطعمة، واللباس والزينة والأسرة والاستحقاق، والشركات والمعاملات المالية والأقضية والشهادات إضافة إلى فتاوى مستحدثة.

منهج إنجاز البحث

يضمّ البحث ثلاثة أقسام :

* **القسم الأول:** يشمل فصلين : يخصّ الفصل الأول : التعريف بحياة الشيخ الإمام وبأسرته وبمراحل تعلّمه وأبرز شيوخه، والوظائف التي تقلّدها وأبرز إصلاحاته وآثاره .

ويتعلّق الفصل الثاني بنوعيّة الفتاوى والمسائل التي عالجتها، والمصادر والمراجع التي تولّت نشرها .

* **القسم الثاني:** يتعلّق بنصّ الفتوى مع التحقيق والتخريج وترجمة الأعلام، والإحالة إلى المصادر والمراجع المساعدة .

* **القسم الثالث:** يشمل تسعة فهارس :

١ - فهرس للآيات القرآنية حسب السور .

٢ - فهرس للأحاديث النبوية الشريفة .

٣ - فهرس للقواعد الفقهية والأصولية .

٤ - فهرس للقوافي .

٥ - فهرس للأعلام .

٦ - فهرس الأمم والأسر والطوائف .

٧ - فهرس للبلدان والأماكن .

٨ - فهرس للكتب والبحوث من غير المصادر والمراجع .

٩ - فهرس للمصادر والمراجع من الكتب والنشريات والدراسات المخطوطة منها والمطبوعة .

١٠ - فهرس عام للموضوعات .

وفي الختام أشكر كلّ من سيتولّى نشر هذا البحث.

أسأل الله تعالى أن يسدد الخطى، ويوفق من طلب الهدى، إنّه نعم المولى، ونعم النصير.

بن عروس في ٤ من ذي القعدة ١٤١٧هـ ١٣ مارس ١٩٩٦م

د. محمد بو زغيبة

القسم الأوَّل

No. Item 512723
No. Aks 10083059

الفصل الأول
ترجمة الشيخ الإمام

نسبه وأسرته:

هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر ابن عاشور، ولد سنة ١٢٩٦هـ ١٨٧٩م، بقصر جده للأم الوزير الأكبر محمد العزيز بو عتّور بضاحية المرسى، أصل سلفه من الأندلس، ثمّ هاجروا إلى مدينة سلا بالمغرب الأقصى، ثمّ انتقلوا إلى تونس.

أمّا جدّه للأب فهو الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور[١] (-١٢٨٤/ ١٨٦٨) وأمّا جده للأم فهو الشيخ بو عتّور[٢] (-١٣٢٥/ ١٩٠٧).

تعلّمه وشيوخه:

حفظ الشيخ ابن عاشور القرآن الكريم والمتون العلمية التي تهيّء الطالب إلى التعلّم بالجامع الأعظم، ثمّ التحق بجامع الزيتونة سنة ١٣١٠/ ١٨٩٣، فأخذ عن جدّه الشيخ بو عتّور وعن نخبة من شيوخ ذلك العصر، وهم:

- الشيخ إبراهيم المارغني[٣] (-١٣٥٠/ ١٩٣١)، والشيخ سالم بو حاجب[٤] (-١٣٣٧/ ١٩٢٤)، والشيخ صالح الشريف[٥] (-١٣٣٨/ ١٩١٩)، والشيخ عمر بن

---

١ - هو أحد فقهاء المالكية وقضاتها في القرن ١٣هـ: ١٩م. النيفر: محمد: عنوان الأريب ٢/ ١٢٢ - مخلوف: الشجرة ٣٩٢، رقم ١٥٦٥ - محفوظ: التراجم ٤/ ٣٠٠.

٢ - تولى الشيخ بو عتور الوزارة الكبرى في الحقبة الأولى من الاستعمار. النيفر: ن. م: ٢/ ١٧٨ - مخلوف: ن. م: ٤١٩، رقم ١٦٧٠ - ابن عاشور: تراجم الأعلام ١٣٩ وما بعدها - الخضر حسين: تونس وجامع الزيتونة ٨٩.

٣ - ابن عاشور: أركان النهضة: ٣٩ - محفوظ: ن. م: ٢/ ١٢٦.

٤ - الخضر حسين: ن. م: ٣٠ - ابن عاشور: الحركة الأدبية ١٦ - الزمرلي: أعلام ١٦٩.

٥ - مخلوف: الشجرة: ٤٢٥، رقم ١٦٨٧ - ابن عاشور: تراجم الأعلام ٢٠٩ وما بعدها.

الشيخ[1] (-١٣٢٩/ ١٩١١)، والشيخ محمد النخلي القيرواني[2] (-١٣٤٢/ ١٩٢٤)... فهؤلاء الذين تتلمذ لهم الشيخ الإمام كانوا ثمرة المصلحين الذين أسهموا في الحياة التونسية إسهاماً جليلاً آتى أُكُلَهُ في المستويات الأدبية والاجتماعية، كالشيخ إبراهيم الرياحي[3] (-١٢٦٦/ ١٨٥٠) والشيخ إسماعيل التميمي[4] (-١٢٤٨/ ١٨٣٢) وغيرهما.

وظائفه وإصلاحاته:

دخل الشيخ الإمام سلك التدريس منذ ١٣١٧/ ١٨٩٩، ثمّ ترقّى في درجات التدريس إلى أن أصبح مدرساً من الطبقة الأولى في الجامع الأعظم سنة ١٣٢٤/ ١٩٠٣، ودرّس بالمدرسة الصادقية سنة ١٣٢١/ ١٩٠٠.

وفي سنة ١٣٢٥/ ١٩٠٤ سمي نائباً عن الدولة لدى نظارة الجامع الأعظم، وفي سنة ١٣٢٩/ ١٩٠٨ سمي عضواً في لجنة تنقيح برامج التعليم، وسمي في السنة نفسها عضواً بالمجلس المختلط العقاري.

وفي سنة ١٣٣١/ ١٩١٣ سمّي قاضياً مالكيّاً للجماعة حيث أبدى الحزم والتبصّر ممّا جلب إليه احترام الجميع، وبموجب ذلك دخل في هيئة النظارة العلمية المديرة لشؤون جامع الزيتونة.

وفي سنة ١٣٤١/ ١٩٢٣ عاد إلى التدريس بالجامع الأعظم وبالمدرسة الصادقية، وفي السنة نفسها سمي نائباً عن الشيخ باش مفتي المالكية، ثمّ أسندت إليه خطة باش مفتي سنة ١٣٤٥/ ١٩٢٧.

١ - الخضر حسين: تونس وجامع الزيتونة ١١٢. مخلوف: ن. م: ٤٢٠، رقم ١٦٧٦ - ابن عاشور: ن. م: ١٦٤.

٢ - مخلوف: ن. م: ٤٢٥، رقم ١٦٨٨ - محفوظ: تراجم المؤلفين ٥/ ٢٦.

٣ - النيفر: عنوان الأريب: ٢/ ٩٠ - ابن أبي الضياف: الإتحاف: ٧/ ٧٣ - السنوسي: المسامرات، ١/ ٢٥٢. مخلوف: ن. م: ٣٨٦، رقم ١٥٥٥.

٤ - مخلوف: ن. م: ٣٧٠: رقم ١٤٧٧ - الأزهري: اليواقيت الثمينة ١/ ١١٠ - كحالة: معجم المؤلفين: ٢/ ٢٦٣.

وفي سنة ١٣٥١/ ١٩٣٢ سمي شيخ الإسلام المالكي، وهو أول من تولّى هذه الخطة من المالكيّة، وفي السنة نفسها تولّى مشيخة الجامع الأعظم وفروعه، وهو أوّل شيخ للجامع بعد حذف خطة النظارة العلميّة، وفي ذلك دلالة على منزلته العلميّة المتميّزة.

ثمّ تخلّى عن مشيخة الجامع إثر خلاف وقع بينه وبين شيخ الإسلام الحنفي أحمد بيرم حول إصلاح التعليم الزيتوني، واقتصر على وظيفة مشيخة الإسلام.

وفي سنة ١٣٦٤/ ١٩٤٤ سمي شيخاً للجامع الأعظم وفروعه ثانية، واعتزل هذا المنصب خلال سنة ١٩٥١.

وفي سنة ١٣٧٦/ ١٩٥٦ سمي عميداً للجامعة الزيتونية، ومن أبرز إصلاحات الشيخ الإمام:

- تطوير التعليم الزيتوني حيث أدخل مواد جديدة للتدريس كالفيزياء والكيمياء والجبر...
- أنشأ عدّة فروع داخل البلاد وخارجها ممّا أفضى إلى زيادة سريعة في عدد الطلبة.
- ألقى محاضرات قيّمة في الجمعية الخلدونية وجمعية قدماء الصادقية.
- أسهم إسهاماً مهماً في المجمعين اللغويّين بدمشق والقاهرة؛ وكذلك في المجلة الزيتونية.
- تخرج على يديه العديد من الطلبة الذين تولوا مناصب علمية وإداريّة وقضائية مهمة، ومن بينهم ابن الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور (-١٣٨٥/ ١٥٧٠).

وفاته:

كانت وفاة الشيخ الإمام رحمه الله في ١٣ رجب ١٣٩٣هـ: ١٢ أوت ١٩٧٣، ودفن بمقبرة الزلاج تاركاً آثاراً نفيسة[1].

---

١ - راجع ترجمته في الخضر حسين: تونس وجامع الزيتونة: ١٢٣ - الزمرلي: أعلام: ٣٦١ وما بعدها- ابن عاشور: الحركة الأدبية: ٢٠٢ - الزركلي: الأعلام: ٦/ ١٧٤ - ابن الخوجة: جوهر الإسلام: س ١٠، ع ٣-٤: ١٣٩٨/١٩٧٨: ١٢ وما بعدها - محفوظ: تراجم المؤلفين: =

قال عنه الشيخ محمد الخضر حسين: «للأستاذ فصاحة منطق وبراعة بيان، ويضيف إلى غزارة العلم وقوّة النظر صفاء الذّوق وسعة الاطلاع في آداب اللغة»[1].

وقال عنه الصادق الزمرلي: «شبهه بعضهم بدون مغالاة ولا مبالغة بكبار رجال عصر النهضة»[2].

وقال عنه محمد محفوظ: «الإمام الضليع في العلوم الشرعيَّة واللغوية والأدبية والتاريخية»[3].

آثـــاره:

من أبرز آثاره:

- كتاب التحرير والتنوير.
- حاشية على التنقيح للقرافي.
- كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ.
- أليس الصبح بقريب.
- مقاصد الشريعة الإسلامية.
- النظر الفسيح عن مضايق الأنظار في الجامع الصحيح.
- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام.
- الوقف وأثره في الإسلام.
- تحقيق ديوان بشار بن برد.
- تحقيق ديوان النابغة الذبياني.

= ٣/ ٣٠٤ وما بعدها - بو ذينة: المشاهير: ٣٩٠ - الغالي: شيخ الجامع الأعظم: حياته وآثاره ٢٣ وما بعدها. شمام: أعلام من الزيتونة ط ٢، ١٢٧، ٨٤٠.

١ - الخضر حسين: ن. م: ١٢٣.

٢ - الزمرلي: ن. م: ٣٦١.

٣ - محفوظ: ن. م: ٣/ ٣٠٠.

- تحقيق الواضح في مشكلات المتنبي لابن جنّي.
- شرح ديوان الحماسة لأبي تمام.

وله مؤلفات أخرى مطبوعة ومخطوطة[1].

---

١ - محفوظ: تراجم المؤلفين: ٣/ ٣٠٧-٣٠٩.
الغالي: شيخ الجامع الأعظم حياته وآثاره: ٥١-٥٣.

الفصل الثاني
الشيخ الإمام والفتوى

تحمّل الشيخ الإمام مسؤولية الفتوى طوال سبعين سنة، وذلك منذ أن كان شاباً حيث أيّد الشيخ محمد عبده في فتويين أحدثتا ضجّة في مصر سنة ١٩٠٣، وهما لبس البرنيطة وأكل طعام أهل الكتاب، إلى قبيل وفاته ببضعة أيام سنة ١٩٧٣ وذلك لمّا جاءه استفتاء من الجزائر حول ثبوت الهلال بالحساب الفلكي أو بالرؤية فأول فتوى صدرت له مثلما ذكرت، وأول فتوى نشرت في تونس كانت سنة ١٩٢٠ بجريدة الوزير حول زكاة الأوراق المالية.

ولقد أفتى الشيخ الإمام حسب الخطط التي تقلّدها طوال حياته كما يأتي:

- ثماني فتاوى لما كان مفتياً مالكياً.
- خمس عشرة فتوى لمّا كان باش مفتي مالكي.
- سبعون فتوى لمّا تولّى خطة شيخ الإسلامي المالكي.
- ست فتاوى لمّا أصبح عميد جامعة الزيتونة.
- فتويان لمّا تقاعد.
- عشرة ترجيحات استقيتها من آثاره الشرعية.

فجلّ فتاويه صدرت لمّا تولى خطة مشيخة الإسلام. ووقع نشر فتاويه في المراجع الآتية:

- خمس وعشرون فتوى بجريدة الزهرة.
- ثلاث وعشرون فتوى بالمجلة الزيتونية.
- عشرون فتوى بجريدة النهضة.
- اثنتا عشرة فتوى في كتاب امرأتنا في الشريعة والمجتمع.

- أربع فتاوى بجريدة الوزير .
- خمسة ترجيحات في كتاب مقاصد الشريعة .
- ثلاثة ترجيحات في كتاب النظر الفسيح .
- ست فتاوى في جريدة الصباح .
- أربع فتاوى في كتاب تحقيقات وأنظار .
- فتويان في كتاب أعلام من الزيتونة .
- فتويان في مجلة الهداية التونسية .
- فتويان في كتاب تاريخ الأستاذ الإمام .
- فتوى واحدة في مجلة الهداية الإسلامية مع عشر فتاوى تمّ ذكرها بجريدة النهضة تحت عنوان : بيان وتكميل في باب الزكاة .
- فتوى واحدة بجريدة الفجر .
- فتوى واحدة في سلسلة وثائق بالفرنسية ، وتمّ التعرّض إليها في جريدة الصباح حول التجنيس .
- فتوى واحدة في كتاب المسنون بمأوى العجز والطرح الإسلامي لحسونة الملولي .
- ترجيح من تفسير التحرير والتنوير .
- فتوى ذكرها السويسي في رسالته دون إحالة .

وتمّ ترتيب الفتاوى في الأبواب الآتية :

- اثنتان : التفسير .
- خمس : تأويل الحديث .
- أربع عشرة : العقيدة .
- ست وأربعون : العبادات : - اثنتا عشرة : الصلاة .
- ست وعشرون : الزكاة .
- سبع : الصوم .
- اثنتان : الحج .

- اثنتان : الأضحية .
- أربع : الأطعمة .
- ثلاث : اللباس والزينة .
- ثماني عشرة : أحكام الأسرة .
- تسع : الاستحقاق والشَّركات .
- فتوى واحدة : الأقضية والشهادات .
- خمس : المعاملات المالية .
- ثلاث : فتاوى مستحدثة .

ولقد وردت الاستفتاءات من المراكز العلمية والسياسية المختلفة داخل تونس وخارجها : فاستفتاء لبس البرنيطة مثلاً جاءه من مصر ، وكذلك أيضاً مسألة الشفاعة والنور المحمدي والمهدي المنتظر ، واستفتاء ثبوت الهلال جاءه من المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر ، وكذلك رد تراجع بعد ثلاث ، وجاءه استفتاء حول الأعذار المبيحة للفطر في رمضان من الإذاعة التونسية ، أما الاستفتاء الخاص بالتجنيس فقد ورد من الوزير الأكبر الهادي الأخوة ، وجاء استفتاءان من طرابلس المغرب .

كما جاءته استفتاءات من طلبته ومن شيوخ الزيتونة ومن الخاصة والعامة على السّواء ممثلة أسئلة الطاهر الحداد التي نشرها في كتابه امرأتنا في الشريعة والمجتمع . . .

وبذلك يتبوأ الشيخ الإمام المرتبة الأولى على وفق الترتيب الذي قام به الدكتور محمد السويسي للمفتين الرسميين بتونس في القرن الرابع عشر الهجري [1] . ومن الجدير بالذكر أن السويسي لم يتمكّن إلا من جَمْعِ ثَمانٍ وثمانين فتوى للشيخ الإمام في حين جمعت له ثلاث عشرة ومئة فتوى .

مكانة فتاويه العلمية:

يرى الإمام القرافي أن الفتوى محرّمة على من لا يدري أصول الفقه ولم يمارسه [2] ،

١ - السويسي : الفتاوى التونسية في القرن ١٤هـ ١/ ١١٤ .
٢ - القرافي : الإحكام : ٧٦ .

والمتتبّع لآثار الشيخ الإمام يتبيّن له أحقيّة هذا العلامة في الإفتاء لتمكنه من فنّ أصول الفقه، بدليل أنّه ألّف حاشية على تنقيح القرافي في الأصول، ولاعتماده على القواعد الأصولية في فتاويه، حيث جمعت له أكثر من مائة قاعدة أصوليّة.

وكان الشيخ ابن عاشور مقيّداً بمذهبه المالكي، لأنّ الأمر الذي سمي به مفتياً ثمّ شيخاً للمالكيَّة، ينص على التزامه بالإفتاء بمذهب إمامه، وذلك لأنّ المفتين في عصره كانوا ينقسمون إلى دائرتين: دائرة مالكية ودائرة حنفيّة: وبما أنّ الشيخ الإمام كان مالكيّ المذهب، فإنّ فتاويه كانت معزّزة بأدلّة المذهب المالكي.

والطريقة التي توخّاها الشيخ في الإفتاء هي إبراز الدليل الصحيح من المنقول والمعقول: فهو يعتمد أولاً على النص الشرعي، فلقد جمعت له ٢٠٨ آية وحديث: ثمّ يعقبه برأي إمام مذهبه وتلامذته وكبار فقهاء المذهب المتقدمين منهم والمتأخرين كما كان الشيخ يقيّد فتواه بقواعد بلاغية ونحوية مثل فتاوى التفسير، وكان يعود إلى كتب الحديث وشروحها في فتاوى تأويل الحديث، ولا يكتفي في فتواه بمجرد الإخبار بالحكم في المسألة المستفتى فيها، بل كان كثير ما يقدّم تقريراً طويل الذيل، ويأتي على المسألة من كامل أطرافها عندما يطلب منه المستفتي إيضاحاً وإرشاداً، ويظهر ذلك في فتاوى العقيدة بالخصوص لأنّ مسائل الحلال والحرام والبدعة والمنكر تشغل بال المسلمين قديماً وحديثاً.

وكان الشيخ الإمام ملتزماً بمذهب إمامه مكثراً من الرجوع إلى الكتب المعتمدة فيه في فتاوى العبادات، وكان ينادي بعدم جواز الخروج عن المذهب الذي تقلّده المستفتي، مستشهداً بما قاله أساتذة الأصول مثل ابن الحاجب[١] والرازي والآمدي[٢] والشاطبي[٣] والغزالي[٤] والمحلّي[٥] من أنّ الخروج عن المذهب من التلاعب بالدين، والدين يجب أن ينزّه عن التلاعب وعن التشهي.

---

١ - ابن الحاجب: منتهى الوصول بحاشية السند: ٢/ ٣٠٩.

٢ - الآمدي: الإحكام: ٤/ ٣١٨ وما بعدها: ط دار الكتب - ٤/ ٢٣٨ ط: مؤسسة النور.

٣ - الشاطبي: الموافقات: ٤/ ١٣٢ وما بعدها.

٤ - الغزالي: المستصفى: ٢/ ٣٩١.

٥ - المحلّي على جمع الجوامع: ٢/ ٣٩٣ وما بعدها.